تركة النبي صلى الله عليه وسلم

والسُّبُل التي وجّهها فيها

تأليف

حمّاد بن إسحق بن إسماعيل

١٩٩ - ٢٦٧ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور أكرم ضياء العمري

تركة النبي ﷺ

وَالسُّبُلُ التي وَجَّهها فيها

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمَة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على النبي الأكرم ، وعلى آله وصحبه وسلم .

(أما بعد) فهذا « كتـاب فيه تركة النبـيﷺ ، وشرف وكرّم » ألفـه الإمـام الفاضل العالم العامل الفقيه أبو إسماعيل حماد بن اسحق بن إسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي المتوفى سنة ٢٦٧هـ ، الذي ألف عدة كتب فقدت جميعاً سوى هذا الكتاب ، وقد رأيت نشرهُ إحياءً لذكرى هذا العالم الجليل ولأهمية الكتاب وقدمه فهو من بواكير ما كتب العلماء في القرن الثالث الهجري الذي يمثل عصر التـدوين لعلوم الإسلام ، فيه دونت الكتب الستة المشهورة في الحديث ، والتي صنفها الأئمة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وفيه برز كبار أئمة النقد من المحدثين مثل ابن المديني وابن معين والفلاس ، وفيه عاش آخر الأئمة الأربعة الفقهاء أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، وفيه تبلورت المذاهب الفقهية على أيدي تلاميذ الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعـي رحمهـم الله تعـالى ، وفيه عاش إمـام المفسرين الطبري ، وغيرهم كثير من أئمة العلوم المتنوعة ، فلا شك أنـه من أزهـى عصـور الإسلام ، دخلت فيه العلوم مرحلة النضج والتكامل ، ولا شك أن ازدهار الحركة الفكرية فيه أدى إلى شحذِهِمَمْ أهل العلم وصقلِ مواهبهـم وقـد نال مؤلف هذا الكتاب حظاً كبيراً من ذلك كله .

وقد جرى في كتابه على طريقة المحدثين في سرد الروايات تتقدمها الأسانيد ،

وانتقى رواياته مما يدل على معرفته بالحديث وعلومه ، وقد تعرض في هذا الكتاب لموضوع مهم يتناول ناحية خطيرة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي موقفه من الأموال العامة ، وتصرفه في الأموال التي اختصه الله تعالى بها والسبل التي وجهها فيها في حياته ، ووصيته فيما تؤول إليه بعد وفاته فلم يؤْثِر بها نفسه ولا ورثته ، بل كان متقللاً منها في حياته ، مكتفياً بما يقيم أوده وأود أهله ومؤونة عامله ، ثم يوجه بقيتها في منافع المسلمين . ثم منع أهله من وراثته ، فعادت أموالاً عامة يُنفق منها على من كان يُنفِق عليه في حياته وتعود بقيتُها إلى بيت مال المسلمين ، فكان عليه الصلاة والسلام يرسم بذلك المثل الأعلى لأمته حكاماً ومحكومين ، فقد كان بوسعه أن يملك كل شيء ، فلم يملك أي شيء !

أسْـرَة المؤلّف

ينتمي المؤلف حماد بن اسحق إلى بيت من أجل بيوت العلم بالعراق وقد اشتهر العديد من رجالات هذا البيت بالعلم وجلالة القدر والسؤدد في الدين والدنيا ، وقد نشروا مذهب الإمام مالك في العراق ، وتردد العلم في طبقاتهم وبيتهم نحو ثلثمائة عام من زمن جدهم الإمام حماد بن زيد وأخيه سعيد ومولدهما في نحو المائة ، إلى وفاة آخر من وصف منهم بعلم وهو المعروف بابن أبي يعلى ووفاته قرب أربعمائة[1] .

وقد تولى العديد من هذه الأسرة القضاء والوظائف الرسمية في العراق وغيره فكان إسحق بن إسماعيل والد المؤلف (١٧٦ ـ ٢٣٠ هـ) متولياً للمظالم بمصر أيام المأمون ، وتولي الخطابة والإشراف أيام المعتصم ، ولم يكن بالحافظ ولكن ولده وآله تجردوا لمذهب مالك في أيامه وتفقهوا فيه[2] .

وكان إسماعيل بن إسحق القاضي شقيق المؤلف (٢٠٠ ـ ٢٨٢ هـ) إماماً علامة في سائر الفنون والمعارف ، فقيهاً محصلاً على درجة الإجتهاد ، حافظاً معدوداً في طبقات القراء وأئمة اللغة ، له تآليف كثيرة في شرح مذهب الإمام مالك وتلخيصه

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ٩٢ .

(٢) عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) .

والإحتجاج له ، وقد جمع بين علوم القرآن والحديث وآثار العلماء والفقه والكلام والمعرفة بعلم اللسان فكان من نظراء المبرد في علم كتاب سيبويه ، وهو أشهر آل حماد ابن زيد ، وقد تولى قضاء بغداد والمدائن والنهروانات ، ثم تولى قضاء القضاة أخيراً ، وأقام على القضاء نيفاً وخمسين سنة ما عزل إلا سنتين ـ وفي ذلك خلاف ـ وكان شديداً على أهل البدع يرى استتابتهم حتى أنهم تحاموا بغداد في أيامه ، وقد عد له ابن فرحون سبعة وعشرين مصنفاً[1] .

وكان أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حماد (٢٠٨ ـ ٢٨٣ هـ) عالماً محدثاً جليل القدر ، وهو ابن عم المؤلف ، وقد تولى القضاء كما تولاه ابنه أبو عمر ، وليوسف هذا مؤلفات في الفقه والحديث[2] .

وأما ولد المؤلف إبراهيم بن حماد بن إسحق (٢٤٠ ـ ٣٢٣ هـ) فقد اشتهر بالعلم والعبادة وتتلمذ عليه المشاهير كالدار قطني وأبي حفص بن شاهين ويوسف ابن عمر القواس وعمر بن إبراهيم المقريء وقد وثقه القواس ووصفه المقريء بالقاضي الشيخ الصالح الرضى وقال عنه الدارقطني « ثقة فاضل » وقال مرة : « ثقة جبل »[3] .

فالحق أن آل حماد بن زيد خدموا علوم الإسلام خدمة جليلة ، وبلغوا منزلة رفيعة حتى قال أبو محمد الفرغاني التاريخي أنه « لم يبلغ أحد ممن تقدم من القضاة ما بلغوا من اتخاذ المنازل والضياع والكسوة والآلة ونفاذ الأمر في جميع الآفاق ، وحسبك أن لهم ببادوريا ستمائة بستان غير مالهم بالبصرة وغيرها وكان فيهم ـ على إتساع الدنيا لهم ـ رجال صدق وخير وأبهة وورع وعلم وفضل[4] » .

فلا غرابة إذا ما انتشر مذهب الإمام مالك على أيديهم إنتشاراً باهراً ، وإذا ما

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب : ٩٢ ـ ٩٥ ، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ٦/ ٢٨٤ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦ .

(٢) محمد محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ٦٦ .

(٣) تاريخ بغداد : ٦/ ٦١ .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ٩٢ ـ ٩٣ .

تفقه أهل العراق من المالكية بهم ، ثم ضعف بعدهم ضعفاً ظاهراً ، ويحدد ابن فرحون ذلك بموت أبي بكر الأبهري وكبار أصحابه لتلاحقهم به ، ويعلل ذلك بخروج القضاء عنهم إلى غيرهم من مذهب الشافعي وأبي حنيفة فقلّ طالبُ مذهب الإمام مالك لإتباع الناس أهل السياسة والظهور ـ على ما يرى ـ[1] .

ومن هذه الأسرة العلمية الرفيعة ووسط هذه الكوكبة اللامعة من العلماء بزغ نجم حماد بن اسحق لينتظم في صف العلماء العاملين من أهله ، يحفزه تاريخ علمي مجيد سجلته هذه الأسرة الماجدة منذ أن احتلّ جده الأعلى حماد بن زيد (ت ١٧٩ هـ) إمامة الناس في زمانه بالبصرة في السُنّة والفقه حتى رؤي سفيان الثوري جاثياً بين يديه يتلقى العلم[2] ، وهو أكبر منه سناً ! فما أكبر سفيان وهو يجثو للعلم وما أجلّ حماد إذ يجثو مثل الثورى بين يديه !

وما أعظم موقف السلف الصالح الخاشع أمام اجلال العلم وتكريم العلماء ! كان حماد بن زيد من « عقلاء الناس وذوي الألباب » فأورث أبناءه وأحفاده عقله وعلمه ، فكانت تلك الشجرة المباركة التي أورقت وألقت ثمارها العلمية الشهية عدة قرون. ولعل ذلك ببركة اشتغال حماد بن زيد بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام إذ كان فيه جليلاً «من المتثبتين» .

ومن أغصان هذه الدوحة المباركة مؤلف كتاب « تركة النبيﷺ » فهو أبو إسماعيل حماد بن إسحق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي (١٩٩ ـ ٢٦٧ هـ) بصري تولى القضاء ببغداد ، وحدّث بها عن مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي وعبد الله بن مسلمة بن قَعْنبَ وطبقتهما ، وأبي عبد الله محمد بن يزيد المدني مولى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ، كما سمع من شيوخ أخيه إسماعيل إبن اسحق القاضي الذي كان إماماً علامه في سائر معارف وفنون وقته ، وتفقه بأحمد ابن المعذّل العبدي البصري، الفقيه، المتكلم، الزاهد النظار الذي كان نادرة

---

(١) شجرة النور الزكية ٤٤٩ .

(٢) أنظر : ترجمة حماد بن زيد في سير إعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١١ .

الدنيا في الحفظ والمثل السائر في الذكاء. وتقدم حماد ابن إسحق في العلم فألف كتباً كثيرة منها:

١ ـ كتاب المهادنة .
٢ ـ كتاب الرد على الشافعي .
٣ ـ تركة النبيﷺ .

وكان فصيحاً ، حسن القيام بمذهب مالك والإعتلال له ، كثير التصنيف لفنون من علم الإسلام ، وقد ذكر الخطيب البغدادي تهمة وُجِهَت له بصيغة التمريض دون أن يتعقبها قال : « واعتمد على تصنيف يعقوب بن شيبة وكلامه فيما يقال ـ والله أعلم ـ »

ولا أدري السبب في سكوت الخطيب عن هذه التهمة ، ولعله لم يقف على مؤلفاته ، وعلى أية حال فإنه في كتابه هذا « تركة النبيﷺ » لا ينقل عن يعقوب بن شبية . ويعقوب هذا من أقران حماد بن إسحق توفى سنة ٢٦٢ هـ ، وهو حافظ علامة صنَّف المسند الكبير المعلل ولم تذكر له المصادر مصنفاً سواه ، ويحتوي مسنده على أحاديث معللة ومادة واسعة في علم الرجال[1] وموضوع المسند بعيد عن الموضوعات التي طرقتها مؤلفات حماد بن إسحق الفقهية فلعل التهمة وُجهت إلى كتاب بعينه من مؤلفات حماد بن إسحق .

وكان حماد بن إسحق يقضي في جوانب بغداد في داره كثيراً وكانت له مكانة عند بني العباس فكان يصحب الخلفاء ، ثم جرت عليه محنة ، وضُرب بالسياط وطوِّفَ به في زمن الخليفة المهتدي بالله لأمر لم تفصِّله المصادر ، وقد جرَّ ذلك إلى عزل أخيه عن القضاء ، وقد روى عنه ابناه أزهر وإبراهيم ، ومحمد بن جعفر الخرائطي[2] والحسين بن إسماعيل المحاملي . وقد وثقه الخطيب البغدادي ، وكان

---

(١) أكرم ضياء العمري : موارد الخطيب في تاريخ بغداد ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
(٢) روى عنه نصاً في كتابه « مساويء الأخلاق » رقم ٧٤٨ حسب ترقيم العليمي الذي حقق الكتاب ونال به درجة الدكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

مولده في آخر سنة تسع وتسعين ومائة بالبصرة فيما ذكره الخطيب ، ونَقَلَ عن ابن المُنادي أنه ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، كما نَقَل عنه أنه توفي بالسوس يوم الإثنين لثلاث خلون من رجب سنة سبع وستين ومائتين ، وجاء نعيُه إلى أخيه إسماعيل بن إسحق القاضي يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من رجب ، وكان قد بلغ السبعين من عمره . أما صاحب « شجرة النور الزكية » فسجل وفاته سنة ٢٦٩ هـ[1] .

---

(١) أنظر : ترجمة حماد بن اسحق في تاريخ بغداد للخطيب ٨/ ١٥٩ . وسير إعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ١٦ والمنتظم ٥/ ٦٠ وشذرات الذهب ٢/ ١٥٢ والديباج المذهب لابن فرحون ١٠٧ ـ ١٠٨ ، وشجرة النور الزكية لمحمد محلوف ٦٣ .

دراسة وتحليل لمرويات كتاب " تركة النبي "

كان رسول الله ﷺ إماماً للزاهدين ، يعرف زهده في طعامه ولباسه وفراشه وبيته ونظرته إلى المال وتعامله مع الناس ، وفيما يلي عرض وترتيب وتحليل للمرويات التي وردت في كتاب (تركة النبي) مع توثيقها أو الإضافة إليها من مصادر أخرى ، وهى توضح صوراً من الزهد والتجافي عن الدنيا في حياة إمام الزاهدين بعيداً عن الأسانيد المطولة والروايات المكررة ؛ وإن كانت تستند إليها وتعتمد عليها ، وبعيداً عن وحشّي الألفاظ وغريب التراكيب مما ينتسب إلى لغة القرون الأولى ، وإن استمد منها وأخذ عنها ، إذ لا بد في هذا العصر من توطئة المعاني وتبسيط المباني ، والوصل بين القديم والجديد أو الاصالة والمعاصرة ، وبين الثابت والمتغير أو الناموس والتطور ، فالزهد في الماديات والاستعلاء على الشهوات والتجافي عن دار الغرور والتطلع إلى حياة الخلود من صفات الأنبياء وسمات الصالحين ، ولا يقتضي ذلك تحقير نعم الله فليس هذا من هَدْي الرسول وأصحابه ، وإنما كان هَدْيهُم تقدير هذه النعم وشكرها بالاستعانة بها على عبادة الله وطاعته ، ولا يتنافى الزهد مع ملك الأموال وتناول طيبات الحياة مع الشكر للنعمة والذكر للمنعم ﴿ قل من حرَّمَ زينة الله التي أخرجَ لعباده والطيباتِ من الرزق ﴾ فالزهد في الدنيا قصر الأمل وعدم الفرحِ بإقبالها والحزنِ على إدبارها كما روى عن الإمام أحمد بن حنبل ، وهو الذي جعل الزهد على ثلاثة أوجه :

الأول : ترك الحرام وهو زهد العوام .

الثاني : ترك الفضول من الحلال وهذا زهد الخواص .

الثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين[1] .

فليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك[2] . وكان علي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال ، وكان عبد الله بن المبارك والليث بن سعد من أئمة الزهاد مع ما كان لهما من الأموال الكثيرة[3] . لأن أموالهم لم تشغلهم عن الله بل سخروها في طاعته وعبادته ووصل أهل الخير من عباده، فالزهد في خلو القلب من الدنيا ومتعلقاتها لا في خلوّ اليد منها، فقد استعاذ رسول الله ﷺ مِنَ الكفر والفقر .

ولنستعرض صوراً من حياته عليه الصلاة والسلام في حالتي الشدة والرخاء وَإدبار الدنيا وإقبالها فهو إمام الزاهدين وقدوة المتقين ، ومن سيرته وهديه وأقواله وأفعاله نعرف موازين العدل ومقاييس الصدق في الزهد والزاهدين .

لم يعرف رسول الله ﷺ الاستغراق في النوم على الفرش الوثيرة والطنافس الناعمة منذ أن حمل أمانة الرسالة ، فقد فرض عليه ربه عز وجل قيام الليل منذ العهد المكي ، فكان ينام على فراش صغير من جلد حشوه ليف[4] . وأحياناً ينام دون فراش على حصير يؤثر في جنبه ، وتحت رأسه وسادة من جلد حشوها ليف أيضاً[5] .

وفي أوقات أخرى وضع تحته عباءة مثناة بدلاً من الفراش[6] ، حتى إذا رأت ذلك امرأة من الأنصار بعثت إلى زوجه عائشة رضي الله عنها بفراش حشوه الصوف ، لكن الرسول ﷺ أمرها بردِّه ، وكرَّرَ عليها ذلك عندما أبدت رغبتها في

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥ وأما رفع هذا التعريف للزهد إلى الرسول ﷺ فلا يصح لأن في إسناده عمرو بن واقد الدمشقي وهو متروك (انظر جامع الترمذي حديث رقم ٢٣٤١ ، وابن ماجة : سن حديث رقم ٤١٠٠)

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٥ .

(٤) فتح الباري ١١/ ٢٨٢ ، وأما صغره فيدل عليه حديث أبي داؤد في سننه ، كتاب الأدب ٩٧ .

(٥) تركة النبي ص ٦٢ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٢ .

الاحتفاظ به مبيناً لها أنه لو شاء لأَجرى الله معه جبال الذهب والفضة فردَّتْهُ إليها[1] ، وقد عملت له عائشة (رضي) فراشاً جديداً بدل فراشه الرَّث ، فألقاه ورفض النوم عليه[2] ، ولم يكن في حجرة عائشة سوى فراش واحد ثم رزقها الله بفراش آخر[3] .

وكانت قريش تألف النوم على السرُّر ، فلما هاجر النبيﷺ إلى المدينة المنورة ، ونزل على أبي أيوب الأنصاري (رضي) سأله إن كان يجد عنده سريراً ، فلم يكن عنده ، وبلغ ذلك أسعد بن زرارة فأرسل إليه سريراً له عمود ، وقوائمه من ساج ، وهو مضفور من حبال الحُصر ، فلما تحوَّلَ من بيت أبي أيوب إلى أبياته وهبه لعائشة رضي الله عنها[4] وقد رآه أبو موسى الأشعري (رضي) ينام عليه وقد وضع عليه فراشاً رقيقاً لا يمنع أثر الحبال عن جسده الشريف[5] ، وكان ذلك بعد غزوة أوطاس ، وعقب حيازته أموال هوازن العظيمة في غزوة حنين ، فلم يكن امتناعه عن الفرش الوثيرة الناعمة بسبب ضيق ذات يده ، وإنما حذراً من الركون إلى النوم العميق الذي يحول دون قيامه الليل ، وتجافياً عن لذائذ الحياة ومنها لين الفراش ونعومة العيش ، فلما طلب منه عمر (رضي) أن يتخذ فراشاً أوثر من فراشه أجابه « مالي وللدنيا ، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعةً ثم راح وتركها[6] » .

وقد استفاضت الروايات في بيان قلة الطعام في بيوت رسول اللهﷺ ، فما كان أهله يشبعون من خبز الشعير يومين متتابعين ، وكان جلُّ طعامهم التمر ، وحتى التمر ما شبعوا منه حتى فتحت خيبر (سنة ٧ هـ)[7] ، وأما اللحم وخبز البر والسمن

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٣ .
(٣) مسند أحمد ٦/ ٩١ .
(٤) تركة النبي ٩٥ ـ ٩٦ .
(٥) فتح الباري ٨/ ٤١ .
(٦) مسند أحمد ١/ ٣٠١ .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٩٥ ، ٣٨٠ .

والقثاء فقلما كانوا ينالونه ، وقد يمضي عليهم الشهر والشهران ما يوقدون ناراً تحت قدر لا لخبز ولا لطبخ ـ إلا نادراً ـ مكتفين بالتمر والماء[1] .

وقد يَبيتون الليالي طاوين[2] لا يجدون عشاء ؟!

فكان جيرانهم من الأنصار يصلونهم باللبن .

وقد أتى النبي بطعام سُخن مرةً فأكل وحمِد الله وقال : ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا[3] . وقد ذكر عن نفسه (ﷺ) أنه أمضى مع أبي بكر (رضي) بضعة عشر يوماً ما لهم من طعام إلا ثمر الآراك وذلك في طريق الهجرة ، وكان يصيبه الجوع فلا يجد شيئاً يملأُ به بطنه[4] وربما ضعف صوته من الجوع ، وربما أخرجه الجوع من بيته وقت الظهيرة وشدة الحر[5] ، وقد عصب بطنه في غزوة الخندق بحجر لما يجد من الجوع[6] ، وقد اضطره الجوع والضعف مرة إلى أن يضطجع في الطريق حتى سقاه رجل قدحاً من لبن[7] .

وكان الرسول ﷺ يسأل ربه « الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثاراً لما يبقى على ما يفنى[8] » ، فلما عرض عليه ربه عز وجل أن يجعل له بطحاءَ مكةَ ذهباً قال : لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعتُ إليك وذكرتُك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك[9] . وقد عُرضت عليه مفاتيح خزائن الدنيا والخُلد فيها ثم الجنة فاختار لقاءَ ربه والجنة[10].

---

(١) تركة النبي ٤١ ، ٤٢ والفتح ١١/ ٢٨٣ .
(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢٣٦١ .
(٣) رواه ابن ماجة بإسناد حسن (فتح الباري ١١/ ٢٩٣) .
(٤) تركة النبي ص ٤٣ .
(٥) تركة النبي ص ٤٧ .
(٦) تركة النبي ص ٥٠ .
(٧) تركة النبي ص ٥٣ وقارن برواية صحيح مسلم الأشربة ١٧٤ .
(٨) فتح الباري ١١/ ٢٩٣ .
(٩) تركة النبي ص ٢٤ .
(١٠) تركة النبي ص ٢٤ .

وقد وسَّع الله تعالى على المسلمين بعد فتح قريظة وخيبر لكن النبي الزاهد لم يوسِّع على نفسه وأهله في الطعام ، فقد كان الزهد في الدنيا من صفاته التي لازمته طيلة حياته ، ولم يكن مضطراً إليه حتى عندما كانت الأموال قليلة عند المسلمين في السنين الأولى من الهجرة ، فلو شاء لأخذ من « أموال أصحابه الأغنياء مثل أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذل أنفسهم وأموالهم بين يديه ، وقد أَمَر بالصدقة ، فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه[1] » .

ولو كان العوز وضيق ذات اليد سبب زهده لتغير حاله عندما جاء الله بالغنى ، ولكنه آثر الزهد وخشونة العيش وقلة الطعام لنفسه وآل بيته تجافياً وترفعاً وإيثاراً وكراهةً للشبع[2] .

وأبيات رسول الله التسع هي حجرات أزواجه أمهات المؤمنين ، اتخذت من الجريد وستائر من شعر أسود[3] ، كانت خارج المسجد النبوي ، فأمر الوليد بن عبد الملك بإدخالها في المسجد[4] .

قال الإمام مالك : رأيت بعض أهل العلم يقولون : وددنا أنهم حيث كانوا بنوا مسجد المدينة كانوا تركوا أبيات رسول الله ﷺ التسع حتى يراها الناس ، قد اتخذت بالجريد وَالمسوح ، فيعتبرون بذلك ويقولون : هذا أكرم الخلق على الله رضي من الدنيا بهذا[5] ؟

وماذا كان داخل هذه الأخبيه من الرياش والأثاث ؟

لعل في معرفة تجهيزه لأزواجه عائشة وأم سلمة وحفصة ما يعبّر عن أثاث بيته . صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتح الباري ١١/ ٢٩١ .
(٢) المرجع السابق ١١/ ٢٩١ .
(٣) التركة ص ١٠٥ .
(٤) ابن سعد ١/ ٤٩٩ .
(٥) التركة ص ١٠٥ .

فقد أمهر كلاً من عائشة وأم سلمة بنت أبي أمية صحفة كثيفة وقدحاً كثيفاً وفراشاً حشوه ليف ، ومحشّة ـ أي الرَّحا[1] ـ لطحن الشعير وغيره وأمهر حفصة بساطاً ووسادتين وكساء رحباً يفترشان في القيظ والشتاء نصفه ، ويلتحفان بنصفه ، وإناءَين أخضرين[2] .

وما رؤي ﷺ يجلس عن طنفسة ولا وضع بين يديه خوان طعام[3] .

وقد كانت الدنيا مقبلة على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو مدبراً عنها فمنذ العهد المكي كانت زوجه خديجة (رضي) تملك الأموال والتجارات فآثر حياة التحنُّث والانقطاع في غار حراء ، وكان من أصحابه الذين آمنوا به أغنياء مثل أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة ، وكانوا يفتدونه بالنفس والمال ، فآثر حياة الزهد ، وترفع عن أعراض الدنيا ، ومنذ السنة الثالثة للهجرة صارت له أموال جليلة أوصى بها مخيريق اليهودي الذي قتل في غزوة أحد وهي بساتين الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصافية ، والميثب ، وحسنى ، ومشربة أم إبراهيم ، ويسقي وادي مهزور هذه البساتين السبعة ، وقد ذكر الواقدي رواية تفيد أن النبي ﷺ فَرَّق هذه الأموال[4] . وهي من أموال بني النضير .

وكانت أموال بني النضير خاصة بالرسول ﷺ بعد إجلائهم لأن جلاءهم تم صلحاً بعد حصار دون قتال على أن لهم ما أقلّت الإبل إلا السلاح فكان ينفق منها على أهله ويجعل بقية المال عدة في سبيل الله[5] . كما كانت بئر غاضر والنورس وهما من أموال قريظة بعالية المدينة طعمة لأزواجه[6] .

وفي سنة ٧ هـ فما بعدها جاءته صفايا خيبر وفدك ، فكان يأخذ الخمس من

(١) أزواج النبي لابن زبالة ص ٦٢ .
(٢) أزواج النبي لابن زبالة ص ٥٧ .
(٣) التركة ص ١٠٦ .
(٤) ابن شبة : تاريخ المدينة ١/ ١٧٥ .
(٥) البخاري : صحيح ٤/ ٤٦ ، ٦/ ١٨٤ ،وأبو داؤد ٣/ ١٤١ ، والترمذي ٤/ ٢١٦ ، ومسند أحمد ١/ ٤٨ ، وأبو عبيد : الأموال ١٥ .
(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ١/ ١٨٧ .

نصف إنتاج خيبر من التمور، ويطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق تمراً ، وعشرون وسقاً شعيراً[1] ، وفي رواية أخرى أنه أعطى كل واحدة منهن مائة وسق ، ثمانين وسقاً تمراً وعشرين وسقاً شعيراً[2] .

وكانت منطقة الكتيبة من خيبر خمس الله وسهم ذوي القربي واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبيﷺ ورجال مشوا بين أهل فدك بالصلح[3] . وصارت في صدقاته بعد وفاته[4] . ولما أجلى عمر (رضى) يهود خيبر خيرَّ أزواج النبيﷺ فيما كان أجرى عليهن في أن يعطيهن مثل ما أعطاهن الرسولﷺ من التمر والشعير.

وأما فدك فكانت للنبيﷺ خالصة لأنها فُتحت صلحاًدون قتال[5] وقد قُوِّمَت أرض فدك ونخلها في زمن عمر (رضي) بمائة ألف درهم ، فلما أجلاهم عمر (رضي) دفع لهم خمسين ألف درهم لأنهم كانوا صالحوا على نصف أرضهم ونخلهم[6] .

وكان الرسولﷺ ينفق على أهله من هذه الصوافي التي أفاءَها الله تعالى عليه نفقة سنتهم ، ثم يأخذ بقيتها فيضعها مع الأموال العامة[7] . وقد أوصى بأن كل ما يترك من مال يكون صدقة لا يرثه أحد فيها ، ولكن جعل لأهله حق أخذ ما يكفل لهم معيشتهم فقط ، فلما توفاه الله عز وجل تولى الصديق (رضى) الإنفاق على أهله[8] . وأعطى فاطمة نخلاً يقال له الأعواف وهي من صدقات الرسولﷺ[9] .

---

(١) ابن شبة : تاريخ المدينة ١/ ١٧٨ .
(٢) المصدر السابق ١/ ١٨١ ، ١٨٦ .
(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٦ .
(٤) المصدر السابق ١/ ١٨٧ .
(٥) النسائي : سنن ٧/ ١٢٤ ، وأبو داؤد : سنن ٣/ ١٤٣ .
(٦) ابن شبة ١/ ١٩٥ .
(٧) البخاري : صحيح ٤/ ٩٦ ، ٥/ ١١٣ ومسلم : الصحيح ٣/ ١٣٧٧ ، ١٣٧٩ وابن شبة : تاريخ المدينة ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٨) تركة النبي ص ٦٧ .
(٩) ابن شبة : ١/ ٢١١ .

ولما توفي الصديق (رضى) دفع عمر (رضى) صدقات الرسول بالمدينة إلى العباس وعلي ، فقام علي بها ، يَعملُ بها ما كان رسول الله ﷺ يعمل ، وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر ، وهما صدقتا النبي كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه ، فجعل أمرهما بعده لولى الأمر[1] .

وقد ظلت صدقات النبي ﷺ بعد عمر (رضى) في يد الخلفاء يولون عليها من يقوم بها ، ويقسم ثمرها وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى الوكلاء فيها[2] .

وهكذا لم يستأثر رسول الله ﷺ بهذه الأموال بل جعلها « صدقة » مآلها أن تنفق كالأموال العامة في مصالح المسلمين ، وَمنع ورثته أن يرثوها بقوله (لا نورث ما تركنا فهو صدقة)[3] .

ورغم توفر هذه الأموال للرسول ﷺ فإنه آثر الآخرة على الأولى ، وداوم على حياة الزهد والتقشف وتعويد أهله على هذا النهج وأخذهم به خشيَة أن يأكلوا طيباتهم في الحياة الدنيا .

فلما سألته فاطمة (رضى)خادماً من السبي الذي أُتي به من الخمس علَّمها أن تسبح الله وتحمده وتكبره فذلك خير لها من خادم[4] !! وقد أنكر عليها أن تصبغ ملحفتها التي تغطي رأسها بالزعفران وأن تلقي على بابها ستراً موشياً أو في بيتها بساطاً وأبى أن يدخل عليها حتى هتكت الستر وألقت ما عليها ولبست أطمارها فدخل عليها قائلاً : كذلك كوني فداك أبي وأمي[5] !! وأنكر عليها أن تحليِّ الحسن والحسين

---

(١) ابن شبة : ١/ ٢٠٧ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢١٨ .
(٣) أخرجه البخاري ومسلم (فتح الباري ٦/ ١٩٧ ، ٧/ ٤٩٣ ، ومسلم ٣/ ١٣٨٠) .
(٤) تركة النبي ٣٣ ، ٣٤ .
(٥) تركة النبي ص ٣٥ .

بسوارين من فضة حتى قطعتهما وتصدقت بهما وهما يبكيان ، فأمر ثوبان أن يشري لفاطمة قلادة من عصب[1] وسوارين من عاج[2] . ولما سألته أزواجه النفقة أمره ربه عز وجل أن يخيرِّهن بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن هذه الحياة وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله الثواب الجزيل فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة[3]. قال تعالى: **(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً[4])** .

وقد سمت المصادر أسماء أفراسه الثمانية وهي : الضرس والسكب والمرتجز ولزاز والطرب واللحيف والورد وسبخة .

وسمَّت بغلتيه دلدل وفضة ، وناقته القصواء وحماره يعفور ، وسيوفه السبعة ذا الفقار والعَضْب والقلعي والبتَّار والحيف ورسوب والمخذم . وأرماحه الثلاثة ، وأقواسه الأربعة ، الروحاء والبيضاء والسعدية والكتوم ، ودروعه ، فضة وذات الفضول والسعدية ، ورايته العقاب .

وكانت هذه عدته للجهاد ، فأين هي من عدة كسرى وقيصر حيث الأبهة والفَخامه من الجياد المطهَّمة والهوادج المكسوة بالدمقس والمرصعة بالجواهر!!

وكانت عنده أعنز سمتهن المصادر وهن: عجوة وزمزم وسقيا وبركة وورسة وأطلال وأطراف ، ترعاهن أم أيمن .

---

(١) جاء في لسان العرب : ذكر بعض أهل اليمن أن العصب سن دابة بحرية تسمى فرس فرعون ، يتخذ منها الخرز وغير الخرز ويكون أبيض (لسان العرب مادة « عصب ») .

(٢) تركة النبي ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٩٢ .

(٤) سورة الأحزاب ٢٨ ، ٢٩ .

كما كانت له لقائح (نياق منهن مهرة والشقراء والزباء الحناء والسمري والعريش والسعدية والبغوم واليسيرة وبُردة ، وقد بلغ عددهن عشرين ناقة ، وكان آل محمد وأضيافهم يعيشون على لبنها ، يُراح عليهم كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن .

وكان له ثلاثة من الإماء فاعتقهن جميعاً وهن سلمى وخضرة ورضوى ، وقد ورث أم أيمن عن أبيه فاعتقها أيضاً .

وكان له من الخدم ثلاثة ، أنس بن مالك وهند وأسماء .

وقد اعتق من مواليه زيد بن حارثة وأباكبشة وأنجشة وصالح (وهو شقران) وثويان ويسار ورباح وأبا رافع (أسلم) وأبا مويهبة ورافعا . فهؤلاء عشرة من مواليه أعتقهم جميعاً ولم تشر المصادر إلى إعتاقه بقية مواليه وهم مدعم الذي قتل بوادي القرى وكركرة وفضالة . وهذه الأموال التي ذكرناها والكسوة والخيل والبغلة والحربة كلها وقفت بعد وفاته وجعلت صدقة لحديث رسول الله ﷺ (لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركتُ بعد نفقة عيالي ومؤونة عاملي فهو صدقة) فما أستأثر بها ورثته وإنما جعلت أسوة الأموال العامة[1] ومن هنا يتبين لنا أن لا تناقض بين ما ذكرته من إقبال الدنيا على المصطفى ﷺ وما خصه الله به من أموال بني النضير وخيبر وفدك وبين زهده في الحياة وتقشفه في المأكل والملبس والفرش والأثاث .

وعندها نفهم حديث عمرو بن الحارث « ما ترك رسول ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» رواه البخاري .

ونفهم أيضاً كيف استوت حياته عند قلة المال وبعد ما أتى الله بالغنا وهذه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تحكى حالها عند وفاته عليه الصلاة والسلام قالت : « توفى رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كَبِد إلا شطر شعير في رف لي ، فأكلتُ

---

(١) انظر تركة النبي ٨٤ - ١٠٨ .